المصدر: الوطن السعودى
التاريخ : ٩ ابريل ٢٠٠٣

مدينة على حافة الهاوية

بغداد: ميلندا ليو

في وسط المدينة المحاصرة حيث يسدل الليل أستاره وأزيز الدبابات وأصوات القنابل كان يوجد هناك حلاق كل حلمه أن يمتلك صالونا كبيرا.ومنذ بداية الحرب كانت الليلة تمر تلو الأخرى يتخللها خروج صوت الأذان من المكبرات عبر الظلام من مسجد الرابع عشر من رمضان في بغداد، وفي بعض الأحيان كان ينخفض هذا الصوت تدريجياً كأنه يغرق في بحر من الخوف في هذه الحرب ولقد كرر المؤذن كلمة الله أكبر الله أعظم وكان الخطيب شابا في الثلاثين من عمره ويدعى مرتضى مصطفى الزيدي يرتدي جلبابا رمادي اللون وبدأ خطبته قائلا "إن أحد المقيمين بالجوار جاء وشكرني بقوله إنه في يوم مشمس في الأسبوع الماضي كانت تستعد فيه القوات الأمريكية لدخول العاصمة العراقية بغداد إلا أن الخطاب الذي ألقيته جعلهم ينسون مخاوفهم"، وأضاف وسط تغريد الطيور على أغصانها "إن الأمريكيين يهاجمون العراق معتمدين على أنهم القوة العظمى في العالم ولكننا نذكر بأن الله أكبر وأعظم".

وبعد مرور ليلة لم نسمع الأذان لقد انقطع التيار الكهربائي عن بغداد، وطبقاً للجهات الرسمية الأمريكية فقد قامت الجهات المسؤولة في العراق بإعادة التيار الكهربائي للمدينة، وعلى الرغم من تنامي حجم المعارضين للحرب والخوف من تداعياتها، إلا أن كل هذا لم يثن التحالف الأمريكي البريطاني عن المضي قدماً في هذه الحرب.

وقبل انقضاء اليوم الثاني، كانت القوات الأمريكية قد استولت على مطار العاصمة العراقية بغداد "مطار صدام الدولي" وفي صبيحة يوم السبت فإن دبابات المغسكر الأمريكي كانت تتجول على جانب العاصمة ولكن وزارة الإعلام العراقية أكدت بشدة على أن العراقيين هزموا الغزاة، ولكن الواضح عكس ذلك فإن نهاية حكم صدام حسين قد أوشكت على النهاية ولقد تسببت الأقواج الكثيرة من العراقيين ممن شعروا باليأس واضطروا إلى الهجرة إلى خارج العاصمة في حدوث مشكلة مرورية كبيرة لعدة أميال.

وعلى الرغم من ذلك يبدو أن هناك أعدادا أخرى من سكان بغداد لا يعرفون حقيقية ما يجري في ساحة القتال إذ لم يشاهدوا دبابات الغزو الأمريكي وبالطبع لم يبث التلفزيون العراقي ليذكر ذلك.

وهناك من سمع عن ذلك لكن الإشاعات في بغداد سيئة وتنتشر بسرعة ليصبح معظمها غير صحيح "مجرد إشاعة" بسبب غياب الثقة في الإعلام الموجود على الساحة.

تعلم سكان العراق على مر سنوات الحرب وخضوعهم للحكم الديكتاتوري والقاسي لصدام حسين أن يكونوا واسعي الحيلة وذوي مرونة لأنهم يعيشون لحظة لا يمكن وصفها، فغالبيتهم ذوو مهارات قتالية عالية وينحلون بشجاعة فائقة أو كالأطفال على غرار توصيف أحد الدبلوماسيين الأمريكيين لهم منذ أسابيع قبل رحيل فرق المفتشين الدوليين حين قال وهو جالس على طاولة الإفطار في مطار الرشيد إن عقليتهم "كعقلية طفل"، ولقد تعلموا بالخبرة شيئا يسمى "معايشة حاضرهم" وبهذه الطريقة يستطيع العراقيون أن يتجنبوا الوقوع في مخاطر المستقبل وفزع الماضي.

وقد يحمل الحاضر فزعا كبيرا، وكان المترجم المرافق لي (أحمد ياسين) الذي يعمل بوكالة الأنباء العراقية قلقا بالنسبة لعمله ولقد أخبرني أن أطفاله قد يحتاجون إلى وجوده في المنزل أثناء القصف والغارات الجوية وكان نداء إسراء (عامين) وعبد الله" (ثلاث سنوات) يخافان من دوي الرعد والبرق.وعندما قمت بزيارتهم الأسبوع الماضي، كان الأطفال يحولون هذه المحنة إلى نوع من الدعابة وكانت ترقص إسراء على دوي القنابل وكانت تطلب من الكبار مشاركتها بأن يعزفوا لها بعض الموسيقى عن طريق القرع على الأثاث الخشبي، وعندما اشتد القصف وجدنا إسراء كما قالت زوجة أحمد ذهبت في

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

نوم سريع. فلقد نامت الطفلة على الأريكة وهي تتحدث، ورفض عبد الله الطفل الصغير تناول أي شيء من الطعام طوال اليوم عدا الشيكولاتة، وعندما يذهب إلى سريره يزعم أنه يشعر بالجوع، وتقول والدتهما عندما يذهب الطفلان في سبات فإنهما ينامان جيدا لا يشعران بأي خوف.

ولكن يبقى هناك شك في أن تعود الحياة إلى طبيعتها في النهاية، وعندما هممت أن أودع مساعد الإمام، كان يقف رجل ممسكا بخرطوم يرش المياه أمام صالون حلاقة مواجه للشارع، وقد أمضى "قاسي الشرعي" عمره في جمع عشرة آلاف دولار ليفتح بها هذا المحل، وفي النهاية استطاع أن يحقق حلمه في أول يناير الماضي، على الرغم من علمه بأن الحرب ستقع حتما خلال أسابيع، وقال إنه كان جنديا خلال الحرب العراقية – الإيرانية "وأنا لست خائفا من الحرب".

كان المحل نظيفا ومرتبا وبه كرسي واحد للحلاقة قابع على مساحة واسعة من أرض بيضاء اللون وجدران عليها مرايا لم تتحطم لأنه وضع عليها شريطا لاصقا على شكل حرف إكس، وكان الشرعي يتحدث عن خططه ويقول إنه يسعى للحصول على خمسة كراس للحلاقة يعمل عليها خمسة من المساعدين، وركن لتصفيف شعر السيدات وسوف يستعين بسيدة لإدارة القسم الخاص بالسيدات، وعبر عن ثقته بتحسن الوضع الاقتصادي بعد الحرب، وقال "لا أستطيع الجزم بموعد هذا اليوم" وأضاف "حتى بوش لا يعلمه".

لا يهم متى سيحل السلام فالناس بانوا يتحدثون بصورة أكثر حرية وعرجت ومرافقتي مصورة مجلة النيوزويك "إيكا يوموفي" على أحد المطاعم الشعبية في بغداد لتناول الغذاء واسمه كاتدلز (شموع) كانت الأنوار مضيئة فيه على غرار كل مطاعم بغداد فإن للشموع مولدها الخاص بعد أن باتت محطة كهرباء المدينة غير قادرة على توفير الكهرباء بشكل جيد، فمنذ سنوات كان العراقيون يستخدمون الشموع لتخدم مئات الزبائن يوميا ويستخدم المطعم أكثر من 150 شمعة، وكان الطعام طازجا ورخيصا على الرغم من أن الحرب قد عطلت بعض الأسواق المحلية وإمدادات التموين، وسألت أحد نادلي المطعم عما سيفعله إذا حضرت مجموعة من الجنود الأمريكيين إلى المطعم وطلبوا وجبة طعام فبادر بالرد "إذا حضروا كزبائن لا أعداء فأهلا بهم وليأتوا ويأكلوا"، وقال آخر من ورائه "بما أنهم سيدفعون كباقي الزبائن".

وقد أغلقت البنوك والمدارس وبعض مكاتب المحافظة غير الضرورية لمدة أسابيع ومع ذلك فالروتين بعيد عن الرئيس العراقي حيث اتخذ مركز الإعلام مقرا آخر في فندق فلسطين بعد قصف وزارة الإعلام في إحدى الليالي، وكان غالبية الصحفيين الأجانب قد انتقلوا إليه منذ أسابيع بعد أن سمعوا أن فندق الرشيد سيكون هدفا عسكريا ولقد قام موظفو الوزارة بوضع مكاتبهم في المكاتب الخلفية للفندق ويوجد به أحد الموظفين الرسميين اسمه المستعار جينوم، وتوجد على أحد الأبواب كلمة خزانة، فمنذ أيام قليلة مضت بدأت الجهات الحكومية في مصادرة البطاقات الصحفية الخاصة "الوردية اللون"، وأنذرتنا أن نستخرج أخرى صفراء اللون لسلامتنا الخاصة وهذا يعني أن نقف في طابور طويل لندفع لـ"جينوم" مئات من الدولارات كرسوم إضافية، وكانت كلفة الفاتورة الخاصة نحو 15,000 دولار، وتناولت إفطاري صباح السبت مع أحد موظفي المركز الصحفي وهو أحد العاملين الناشطين من ذوي روح الدعابة العالية، لكنه كان يبدو عابسا ومنهك القوى، وسألته بهدوء كم يبعد الخط الرئيسي من فندق فلسطين فأجاب من 16 إلى 20 كيلومترا تقريبا، ولا أستطيع الجزم فأنا قلق بشدة على عائلتي التي أرسلتها إلى منطقة ريفية في جنوب شرق بغداد بالقرب من بابل "لا أعرف عنهم شيئا منذ أسبوع، وحاولت زيارتهم مرتين لأطمئن عليهم ولكن الطريق كان مغلقا، قلبي يتمزق عليهم، وقد توافد موظفو المكاتب الأمامية في فندق الرشيد إلى فندق فلسطين بحثا عن صحفيين رحلوا دون سداد فواتير الفندق وسألتهم كيف هي الحياة في فندق في وسط المدينة حيث تقصف مباني الوزارات ومقر القيادات بينما فندق الرشيد لا يزال سالما.

وقال أحد العراقيين "إن الفندق مازال بخير لأني لا أعتقد أن الأمريكيين سوف يقومون بضربنا بالقنابل وفندق الرشيد هو أفضل فندق في العراق، أين يمكن أن يجدوا مثل هذا السكن الفاخر؟. أعتقد أن الأمريكيين يرغبون في استخدام فندقنا وحمام السباحة ونحن مستعدون لهم"، وقد صدقته.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

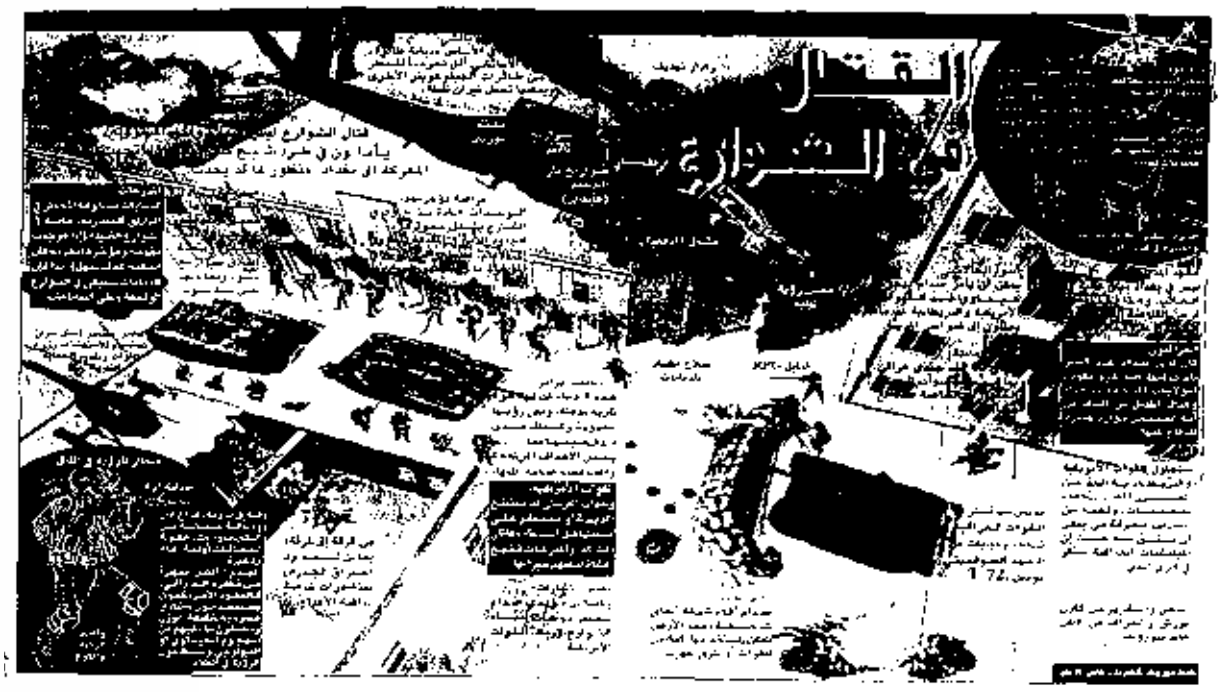

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أطفال عراقيون يرحبون بأحد الجنود البريطانيين الذي دخل إلى مدينة الزبير من [illegible] [illegible]

جنود من المارينز يهاجمون مبنى يعتقد أن جنودا عراقيين يتواجدون في جنوب العراق [illegible]

www.ethraadl.com

مصفحة أمريكية تدخل معسكرا للحرس الجمهوري قرب مطار بغداد، وفي أعلى مدخله تمثال لصدام ممتطيا حصانا

www.ethraadl.com